ريزا ميشال داود

دفتر المذكِّرات

Austin Macauley Publishers™
London * Cambridge * New York * Sharjah

١

ليست أميرةً نائمة في برجٍ طويلٍ تنتظر أميرًا حتّى يوقظها بقبلته الأولى، بل هي وحيدةٌ في غرفة مستشفًى للحالات الميؤوس منها تنتظر أن تموت.

ينسدل شعرها على خدَّين لا حياة فيهما، محيطًا بوجهٍ أبيضَ وشفتَين ناعمتين لَم تبتسما منذ سنين، منامتها الرّماديّة تكشف عن زندَين عضلهما نائم لَم يُستعمَل، ويدَين لَم تعرفا عمر الأنوثة يومًا، نامتا في زهوِ المراهقة ولَم تستفيقا حتى عند الاصطدام بمرور العمر.. يدين مملوءتين بوبرٍ خفيف وأظافر قصيرة لَم تعرف خجلًا مِن أي رجل.

تحيط بها صورٌ في إطارات بكلِّ الأشكال، صور لها في مطلع العمر؛ منذ ما يقارب الأربع عشرة سنة، مع أصدقاء وأهل مبتسمين، ففي يومٍ من الأيام كان الأمل يملأ هذه الغرفة رغم كلِّ الحزن الذي أحاط تلك الحادثة المشؤومة، ودمار عائلتَين؛

وصورٌ وهي نائمة وقربها الأصدقاء الذين خفّ عددهم تدريجيًّا إلى أن بقي شخصٌ واحد، شخص يحاول بكلِّ قوَّته الابتسام، شخص تحوَّل مِن شابٍّ حزين إلى رجلٍ تعيس ينتظر لحظة المصير، لا يعرف أي جهة ستختارها للعبور.. العالم الآخر أو عالمه.

الوجه السَّعيد في الصّور، لَم يعد ضاحكًا، بل أصبح مثقلًا بكلِّ تلك السنين بصمت أميرته، وبذنبٍ يجعل أيّامه جحيمًا، عيناه فاقدتا الأمل، يخنقهما اليأس والتعب.

يدخل المستشفى وهو ما يزال في ثياب العمل، بزّة رمادية وربطة عنق سوداء.. يحيِّي جميع العاملين مِن الأطبّاء وصولًا إلى المسؤولين عن النظافة، والكلّ يردّ التحيّة بمودّة، ورغم تمرّده في الماضي على نظرة الشفقة التي لطالما كرهها وكانت تتعبه أكثر فأكثر، علَّم نفسه ألّا يراها، حين اكتشف أنَّ شفقتهم هي إحدى طيّات حبّهم أو فوقيّتهم، فأكمل سيره، وبيده باقة ورد وعلبة.

ما إن اختفى عن نظرهم حتى عادت الحياة إلى مجراها، وأكملوا ما كانوا قد توقَّفوا عن فعله عند دخوله، لكنَّ عاملة الاستعلامات الشابة لَم تتوقَّف عند هذا الحدّ، بل تبعَته بعينيها معجبة، متمنِّية بصوتٍ عالٍ لو أنّه كان لديها من يحبّها بمقدار حبِّه لتلك الفتاة النائمة منذ سنين، فتجيبها زميلتها التي تقدَّمَت

عليها بسنوات عديدة مِن خلف الزجاج العازل أنَّ هذا ليس حبًّا، بل هو ضعفٌ وخوفٌ مِن الرحيل.

يغلق إيفان الباب خلفه، ويتنفَّس براحةٍ كأنَّه وصل إلى منزله، يضع الأغراض مِن يده كيفما كان، ويقترب مِن السرير، ينظر إليها بحنان، يمسك يدها ويقبّلها، ثم يعيدها إلى مكانها، ويجلس على الكرسي بعد أن خلع سترته وربطة عنقه، ينظر إليها متأمِّلًا وجهها، ويحادثها بصوتٍ عالٍ:

- بتعرفي! اليوم أكتر يوم عبالي تردّي عليَّ! عبالي تضحكيلي.. عبالي تشدِّي بشعري بس تستحي متل إيام زمان.. لإيمتى تالا؟

يعاود مسك يدها معتذرًا، يغمض عينيه ومِن ثم يفتحهما بملامح أشدَّ إيلامًا.

- بتتذكّري البيت يللي كنتي تقوليلي لما يصير معك مصاري بدّك... تشتريه ونعيش فيه؟

نظرةٌ حزينة تعلو وجهه، ويبتسم ساخرًا وهو يردف:

- اليوم عم بهدّوه... لو بعد عندي أمل توعي كنت بشتريه.. بسّ مِن خمس سنين فقدت الأمل..

يصمت قليلًا ثم يكمل:

- أو يمكن لازم اشتريه؟ كرمالك كذكرى! بسّ مين بدّو ياخدو مِن بعدنا؟ مين ما أخدو ما حيعرف قيمته.. يمكن أفضل شي إنو ينهدّ!

بحركةٍ بطيئة يرمي الورد القديم الذّابل في سلَّة المهملات البعيدة عنه، ويدرك الهدف، فهو قد تمرَّن على ذلك لوقتٍ طويل، يضع مكانها الباقة الجديدة النضرة.

- قريت إنّو في مرضى كوما بينزلّهم دموع كأن عم بحاولوا يقاوموا الغيبوبة المستمرَّة، وإنّو دماغن بعدو عايش، ليه ما بدّك تعطينا أمل؟ بليز بكي.. بترجاكي.

يجلس على الكرسي قربه، ويفتح العلبة التي أتى بها، ويتنهَّد.. هو إطارٌ آخر؛ صورته وهو يضحك بشكله الحالي بجانبها وهي نائمة، يضع الإطار على المنصَّة بجانبها، ويُبعِد القديم إلى جانب الصُّور الباقية، يعدِّل الجديد ليصبح مقابل وجهها، ليكون أوَّل ما تراه حين تستيقظ إن استيقظَت.

يقترب مِن شفتيها، ويطبع قبلةً صغيرة، وينتظر قليلًا أمام وجهها كأنَّهما في إحدى القصص الخياليَّة، حيث يوقظ الأمير حبيبته مِن خلال قبلة الحبِّ الحقيقيّ.

- ليه ما بتوعي؟ اليوم أكتر شي أنا بحاجة إنّك توعي.. الطرقات تغيّرت وما عادت ذكرياتنا محلَّها.. حاسس كأن عم تختفي.. ما تتركيني.

لكن لا جواب منها، فيعود إلى الكنبة المواجِهة لها، يخلع حذاءه ليتمدَّد ويغطَّ في نومٍ عميق وهو يتأمَّلها، ولأوّل مرَّة منذ وقتٍ طويل يحلم.